﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾

[التّوبة: 1]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

عِلْمُ اللهِ بكلِّ شيءٍ هو محلُّ الرَّبْطِ بين آخرِ الأنفالِ وأوَّلِ التَّوبةِ

مطلَعُ سورةِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ ظاهِرُ المناسبةِ مع آخرِ سورةِ الأنفال، سواءٌ آخرها العامُّ، وآخِرها الخاصُّ، أمَّا آخِرها العامُّ: فقد ختَمَتْ سورةُ الأنفالِ بتَرسيمِ الحدودِ الفاصلةِ بين المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون بعضُهم أولياءُ بعضٍ، والكافِرون بعضُهم أولياءُ بعضٍ، وفي سورةِ التَّوبةِ تطبيقٌ لتلك المُفاصَلةِ، وتنفيذٌ لهذا العزْلِ التَّامِّ بين المؤمنين والكافرين بإعلانِ البراءةِ من المشركين ومن العهودِ المعقودةِ معهم. وأمَّا عن المناسبةِ مع آخرِها الخاصِّ؛ فقد خَتَمَتِ الأنفالُ بتقرير حقِّ الموالاةِ بين المؤمنين، وجعلتْ هذا الحقَّ آكَدَ وأوْلَى بين أولي الأرحامِ والقراباتِ، ثمَّ ذيَّلَتْ هذا التقريرَ بقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧٥﴾ [الأنفال: 75]، وهذا التَّذييلُ هو محلُّ الرَّبْط بين آخرِ الأنفالِ وأوَّلِ التَّوبة، أي: إنَّ تقريرَ الولايَاتِ في آخرِ الأنفالِ كلُّهُ حِكْمةٌ وصوابٌ وصلاحٌ؛ لأنَّه مِنْ لَدن العليمِ بدقائقِ الأحوالِ والتَّفاصيل، كذلك تقريرُ العداواتِ ونزْعُ المعاهداتِ في أوَّلِ سورة براءة ناجِمٌ عن تلك العِلَّةِ الكاملةِ في العِلْمِ والإحاطةِ التي ذُيِّلَتْ بها سورةُ الأنفال، فالختْمُ والافتتاحُ مَردُّهُمَا لِقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَرَآءَةٌ﴾: البراءةُ مصدرُ (بَرِئَ) كـ(تَعِبَ)، وأصله: التَّباعُدُ مِنَ الشَّيءِ ومُزَايَلَتُه، كَبَرِئَ من المرضِ: إذا انفصَلَ عنهُ، وسَلِمَ منه،

(1) الرازيّ، مفاتيح الغيب: 15/520، والخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 5/694.

وخَلَصَ مِنْ أذاه، والمرادُ بقوله: ﴿بَرَآءَةٌ﴾، أي: هذه براءةٌ، بمعنى تبرُّؤٍ وتباعدٍ وتخلُّصٍ من مُعاهدةِ المشركين[1].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إعلانُ نهايةِ العهودِ مع المشركين في جزيرةِ العربِ

هَذِهِ براءةٌ وتَباعُدٌ وتَخَلُّصٌ وإعلانُ انفصالٍ تامٍّ - مِنَ اللهِ ورسولِه - عنِ المُعاهَداتِ الَّتي كانتْ قائمةً بين المسلمين والمشركين النَّاكثين للعهود في جزيرةِ العربِ[2].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ

### موقعُ جملةِ الافتتاح ﴿بَرَآءَةٌ﴾ وأثرُهُ في المعنى:

إعرابُ البراءةِ خبرًا لمبتدأ محذوفٍ أمْكَنُ بلاغةً، لِحداثَتِها عند المُخاطَبين

جملة ﴿بَرَآءَةٌ﴾ في محلِّ رفْعٍ خبر عن مبتدأ محذوف، والتقديرُ: هذه الآياتُ براءةٌ صادِرةٌ أو مُبتدَأةٌ مِن اللهِ، والجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بنفْس ﴿بَرَآءَةٌ﴾؛ لأنَّها مصدرٌ، وهذه المادَّةُ تتعدَّى بـ(مِنْ)، ويجوز أنْ تكون ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مبتدأً، والجارُّ والمجرور متعلِّقانِ بمحذوفٍ نعتٍ لـ ﴿بَرَآءَةٌ﴾، وهو المسوِّغُ للابتداء بالنَّكرة لتخصيصها به، والتَّقديرُ: براءةٌ حاصلةٌ واصِلةٌ من اللهِ، وكونُ البراءةِ خبرًا لمبتدأ محذوف أمْكَنُ بلاغةً؛ لأنَّ هذه البراءةَ أمرٌ حادثٌ لم يُعهد عن المخاطَبين، فلا بدَّ من جعلِها خبرًا حتى تكونَ معلومةً عند المخاطَب أوَّلًا، لتحقيقِ النِّسبةِ التقيُّديَّة بين الخبرِ والمبتدأ أوَّلًا، لِيَتِمَّ بِناءُ الوصفِ بعد ذلك على تلك النِّسبة المعلومة، فحَقُّ الصِّفاتِ قبلَ عِلمِ المخاطَب بثبوتِها لموصوفاتِها أن تكونَ أخبارًا، وحقُّ الأخبارِ بعد العِلم بثبوتِها لما هي له أن تكونَ صفاتٍ[3].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برأ)، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 2/336.

(2) حجازي، التّفسير الواضح: 1/854، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 3/1656، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسَّر: 1/187، جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/187.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 4/40، والفرّاء، معاني القرآن: 1/420، والزَّجاج، معاني القرآن: 2/428، والنّحّاس، إعراب القرآن: 2/108، ومكّي، مشكل الإعراب، ص: 307، والعكبريّ، التّبيان في إعراب القرآن: 2/634، والسّمين الحلبي، الدّر المصون: 6/5، والشّهاب، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 4/296.

### دلالةُ الافتتاحِ بالجملة الاسميَّة:

الافتتاحُ بالاسميَّةِ تضمَّنَ الخبرَ والإنشاءَ، وثبوتَ الحدثِ واستمرارَهُ

قولهُ: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ افتتاحٌ بالاسميَّةِ، فلم يقل: (قد تبرَّأَ اللّهُ)، للدَّلالةِ على أنَّ البراءةَ ثابتةٌ أزلًا في عِلْمِ اللّهِ، فهو قضاءٌ ثابتٌ عنده، ولذا عبَّر بالاسميَّةِ الدَّالَّة على ثبوتِ المعنى وانقضائه، وإنَّما هو مُتجَدِّدٌ وحادِثٌ باعتبارين، الأوَّل: إخبار المخاطَبين به وكشْفُه لهم، وهذا سِرُّ مجيءِ الجملةِ خبريَّةً.

الثَّاني: باعتبارِ إنشاء الأمْر، فالمخاطَبون مأمورون بالبراءةِ، ولذا فالجملةُ إنشائيَّةٌ في معناها وإن أتتْ بلفظِ الخَبر.

ولو قال: (قد تبرَّأَ اللّه) على الفعليَّةِ لم تتضمَّن تلك المعاني الثَّلاثةَ جميعًا معًا[1].

### براعةُ الاستهلالِ بالمصدرِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾:

التَّعبيرُ بالمصدرِ حشْدٌ معنويٌّ، لجميعِ الدِّلالاتِ المجرَّدةِ لِلَّفظ

الاستهلالُ بالمصدرِ يدلُّ على تهويل الوعيدِ الذي تضمَّنه المقامُ، ففي افتتاح الوعيد بالمصدر حشْدٌ معنويٌّ لجميع دلالات اللفظ المجرَّدةِ في إفادةِ الحدَثِ مع إفادةِ ثبوتِه وعراقَتِه، أي: براءةٌ كاملةٌ ثابتةٌ بكلِّ ما تحتَمِلُه من معاني الانفكاكِ وانعدامِ الصِّلة وقطع الأعذار ورفضِ الشَّفاعات بين المتَبَرِّئ والمُتَبَرَّأِ منهُ، وهذا الاستهلال في كلِّ سورةٍ من سورِ القرآن الكريم، ولاسيَّما الطُّول والمئين مفتتح من الآي يكون استهلالًا بديعًا مشيرًا إلى جوهر المعنى الكليِّ الذي يقوم في السُّورة، وهذا من أجلِّ مظاهر براعة القرآن وإعجازه، فإنَّ المستهلَّ يُعدُّ أوَّلَ ما يطرق أذنَ المستمعِ، وأوَّلَ ما يحظى به من انتباهٍ، فإذا كان مستهلًّا بديعًا مشيرًا إلى موضوع السُّورةِ أو مقصدِها أو جزءًا من ذلك، فإنَّ ذلك يجذبُ انتباهَ المستمعِ، ويثيرُ اهتمامَهُ، ويجعلُهُ يتابع باقي السُّورةِ بشغفٍ وحرص[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/40، والشهاب، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 4/296، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/346.

(2) محمود توفيق، الإمام البقاعيّ ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص: 224.

### دلالةُ التَّنكيرِ في ﴿بَرَآءَةٌ﴾:

التَّنكيرُ في لفظةِ الوعيد ﴿بَرَآءَةٌ﴾ يدلُّ على شُيوعِها المُطلَقِ وعدمِ تَعيُّنِها وانحصارِها في معانٍ مُحدَّدةٍ أو مقاصدَ مُقيَّدةٍ يُريدها المتكلِّمُ لتخفيفِ جُرعةِ اللفظِ في حدَّتِه وصولتِه، فكأنَّ المتكلِّم يقول حينئذٍ: هي براءةٌ لا لِجامَ لها ولا قَيْدَ، فهي جاريةٌ بمعناها المطلَقِ المُطبِقِ بجميع أجزائِه على مَنْ سيقَ الوعيدُ في حقِّهم براءةٌ خاليةٌ عن الرَّحمة جافيةٌ عن الإمهال، وهذا معنى قولهم: إنَّ التَّنكيرَ للتَّعظيم والتهويل والمبالغةِ في سوءِ الإيعاد والإرعاد[1].

التَّنكيرُ للتَّعظيمِ والتَّهويلِ والمبالغةِ في سوءِ الإيعادِ والإرعادِ

### بلاغةُ الجملةِ الخبريَّةِ:

مِن براعة أساليبِ القرآنِ الكريم أنَّه يستخدمُ الجملةَ الخبريَّة في مواضعَ تحتاج إلى الإنشاءِ، لكنَّه يفيدُ بها معانيَ إنشائيَّةً بطريقة أكثر تأثيرًا وإقناعًا، فقوله: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ جملةٌ خبريَّةٌ معناها الإنشاء، وبلاغةُ هذا التَّركيب في أنَّ معنى الخبريَّةِ مقصودٌ أصالةً من اللَّفظ، ومعنى الإنشاء مقصود تبعًا من قرينة السِّياق، ويفيد مجيئُها على جهة الإخبار لا الأمر الصَّريح، لإفهام السَّامع أنَّ أصلَ الحكم حاصلٌ ومتقرِّر قبلَ طلبِ إنشائه من المُخاطَب، فمعنى وجوده غير مفتقرٍ لامتثالِ المأمور به.

جملةُ الخبرِ الّتي معناها الإنشاء، أفادتْ أن أصلَ الحكمِ حاصلٌ قبلَ طلبِ إنشائِهِ

### نكتةُ إسنادِ التَّبرِّي:

أسندَ البراءةَ إلى اللّه ورسوله، والعهدَ إليهم؛ لأنَّ البراءةَ إخبارٌ عن مطلوبٍ لم يُحدِثوه بعدُ، فكيف تُنسَبُ إليهم إذًا؟ واللّهُ هو الذي حكَمَ بهِ، وأنشأهُ، فلذلك نُسِبَ إليهِ، وأمَّا المعاهدةُ؛ فهم الّذين حصَّلوها، وأنجزوها، ولذا نسبتْ إلى ضميرهم.

وأيضًا: رِعايةً لِحُسْن الأدبِ، وتنزيهًا لجنابِ اللّه، فإنَّ المعاهدةَ،

بلاغةُ العدولِ بالالتفاتِ من الغيبةِ للخطاب، ومن ضميرِ التَّثنية إلى ضميرِ الجمعِ الخِطابيّ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 8/361، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 4/39، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/238، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/103.

وإنْ جَرَتْ بإذنِ اللّه، إلا أنَّ المقامَ مقامُ نكْثٍ للعهد، فلم يقل: (إلى الذين عاهدَا) على ضميرِ اللّه ورسوله، لئلَّا يُقحَمَ اسمُ اللّه في مقامِ منقوضٍ منكوث، ولذا أُسنِدَ إلى البراءةِ دون المعاهدة؛ ليكون في جانِبِ الغَلبَةِ والعِزَّة والقهْر بالعقوبة، وهو (البراءة).

وأيضًا: في نِسبةِ البراءةِ إلى اللّه ونسبة المعاهدة إليهم، إيذانٌ بأنَّ البراءة حكمٌ ناجِز محتوم لا يتوقَّف على رأي المخاطَبين، ولا دخْل لهم في إتْمامِه، بل لا دخْل لهم فيه إلَّا بالامتثال والإذعان، وأمَّا المعاهدةُ؛ فهي عقدٌ تكليفيٌّ شرعيٌّ صدرَ عنِ اللّهِ إذْنًا، وعن المتعاقِدين مُباشرةً وإجراءً، والبراءةُ متعلِّقةٌ بالعقد من حيث تحصيلُه لا من حيثُ الإذنُ فيه، فنُسِب لمن حصَّلوه[1].

### دلالةُ تعديةِ المصدر بالحرفِ:

التَّركيبُ المتضمِّنُ لمعنيين أولى في الاستعمالِ من التَّركيب الَّذي يتضمَّن معنًى واحِدًا

قال سبحانه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾، ولم يقل: "براءةُ اللّهِ ورسولِه"؛ للتَّنصيص على معنى الابتداء، كما يُعهَدُ في الأحكام التي تصدرُ مُقترِنةً بجِهةِ ابتدائها، وليَحسُنَ مقابلتُه بحرف الانتهاء في قوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ تنبيهًا على أوَّل الغايةِ وآخرها، ولِدلالةِ التَّنوين في ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مع ﴿مِّنَ﴾ على الإضافةِ والابتداءِ معًا، والتَّركيبُ المتضمِّنُ لمعنيين أولى في الاستعمالِ من التَّركيب الذي يتضمَّن معنًى واحِدًا؛ لوجازتِه في التَّعبير عن أكثرَ من مقصودٍ بعبارةٍ واحدة، فيُصانُ الكلامُ عن التَّكرارِ، وكيفيَّةُ ذلك: أنَّه " لمّا نَوَّنَ أدخَلَ ﴿مِّنَ﴾ كما تقول: هذا فضلُ اللّهِ، ورحمةُ اللّه، ثم يُنوَّنُ فتدخِلُ (مِنْ)، فتقول: (فضلٌ من اللّهِ ورحمةٌ منه)"[2]، ولو عبَّر بالإضافةِ دونَ التَّعديةِ، فيقال: (براءة اللّه)؛ لأفاد تعريفَ النَّكرةِ فقط دون إفادةِ ما سبق.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/40، والشّهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 4/296، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/238، ورضا، تفسير المنار: 10/135.
(2) الواحديّ، البسيط: 10/280.

### وجهُ اصطفاءِ لفظ ﴿بَرَآءَةٌ﴾:

اصطفاءُ لفظ البراءة أمكَنُ بلاغةً من جهتين الأولى: للدِّلالة على معنى الإلزام السابق الذي أوجبَت البراءةُ الانفكاك منه؛ لأنَّ البراءةَ خلوُّ الذِّمَّةِ ممَّا كان يَشغلُها الالتزامُ به. الثانية: للدَّلالة على معنى الفسْخِ القهريِّ للمعاهدة، وليس الانقضاءَ الاختياريَّ ببلوغِ الاتِّفاقِ أجلَه، وفيه إيذانٌ بِخِزيِهم وإذلالِهم ومعاجَلَتِهم بالإهانةِ والخِذلان[1].

إيذانٌ بمعنى الفسْخِ القهريِّ للمعاهدةِ، وخِزيِ المشركين وهوانهم

### نكتةُ إضافةِ البراءةِ إلى اسمِ الألوهيَّةِ:

إسنادُ البراءةِ لاسم الألوهيَّةِ دون غيرِه من الأسماء؛ لإفادة كمالِ العلمِ بمن يستحقُّ البراءة ومن لا يستحقُّها، وكمال القدرةِ على غَلبَتِهم وإنفاذِ حكمِه فيهم، وكمال حِكمتِه في ترتيبِ المصالح على ذلك للمؤمنين ووقايتهم من المضارِّ التي تنالهم لو كانوا استمرُّوا في معاهدةِ المشركين، فلاقتضائه مجموعَ تلك الكمالات؛ ناسَبَ التَّعبيرَ بالاسمِ الجامع لها المُستغرِقِ لأفرادها، وفي تعليق البراءةِ بهذا الاسم الجليل إشعارٌ بعِلِّيَّةِ الحكمِ بها، أي: لِكوْنِه الله الكامل تبرَّأَ منهم[2].

تعليقُ البراءةِ بالاسم الجليل (الله) إشعارٌ بعِلِّيَّةِ الحكمِ بها

### معنى العطفِ بين الله ورسوله:

العطفُ بين الله والرسول، ليدلَّ على الجمع بينهما في صدورِ البراءة عنهما، على معنى المغايرةِ بين ما لله فيها وما للرَّسول، فالبراءةُ من الله بمعنى تقريرِها والإذنِ بها، ومن الرَّسول بمعنى إبلاغِ ذلك عن اللهِ ومُباشرتِه لإجرائها.

العطفُ يدلُّ على اشتراكِ المتعاطِفَين، في تقريرِ الحكم والمغايرةِ بينهما في كيفيَّةِ التقريرِ

### إيثارُ إضافةِ الرَّسولِ لضمير الجلالةِ:

إنَّما قال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ بإضافةِ الرَّسول إلى ضمير الجلالة، ولم يقل: (براءة من الله والرَّسول)؛ لإفادةِ أنَّ الرَّسولَ

(1) الرَّاغب، المفردات، ص: 121، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/103، والشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 8/4858.

(2) البقاعي، نظم الدّرر: 8/361.

غيرُ مقصودٍ بفعل البراءةِ أصالةً واستقلالًا، بل هو تبَعٌ لله فيه، غيرُ منفصلٍ عنهُ في تقريرِ هذا الحكم، كما تقول في غلامِ زيدٍ: جاء زيدٌ وغلامُه، وتقول: جاء زيدٌ والغلامُ، ففي التَّركيب الأوَّل: لم تقصِد الغلام بفعل المجيءِ أصالةً بل قصْده بالمجيءِ مشمولٌ في قصدِك لزيدٍ، وفي الثَّاني: قصدتَ الغلامَ بالفعلِ، كما قصدتَ زيدًا تمامًا.

إضافةُ الرَّسولِ إلى ضميرِ الجلالةِ لإفادةِ أنَّ الرَّسولَ تبَعٌ لله فيه

وتدلُّ الإضافة كذلك على أنَّ الرسول - ﷺ - هو الوكيلُ عن الله في تبليغ رسالته وتنفيذِ حكمه، وأنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يخالفَه أو يعارضَه، وأنَّ من أطاع الرَّسولَ؛ فقد أطاعَ الله، ومن عصاه؛ فقد عصى الله.

### دلالةُ عدم تكرار (من) مع الرّسول:

لم يكرِّرْ حرفَ الابتداءِ في جانبِ الرَّسولِ، فيقول: (براءةٌ من اللهِ ومن الرسولِ)؛ لأنَّ ابتداءَ البراءةِ كان من الله، ولم يكنْ مِنَ الرَّسول، فالرَّسولُ ﷺ لم يبتدِئ حكمًا، بل تلقَّى الحكمَ، وأجْراهُ عن الله، ولو قال: (براءةٌ من الله ومِنْ رسوله) لتُوهِّم أنَّهما براءتان، والحقُّ أنَّها براءةٌ واحدةٌ، وأنَّ براءةَ الرَّسول ﷺ للمعاهَدين من المشركين من جنس براءة اللهِ وتبعٌ لها[1].

الرسولُ ﷺ لم يبتدِئ حكْمَ البراءةِ، بل تَلَقَّاه من الله، وأجْراهُ عن الله

### نُكتةُ حذف متعلِّق البراءة:

حذَفَ في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ متعلِّقَ البراءةِ، فلم يقل: (براءةٌ من الله من معاهدةِ كذا أو اتِّفاق كذا أو عقد كذا أو من هؤلاء)؛ لدلالة ما في حيِّز حرفِ الانتهاء من الغايةِ عليه، وهي الموصول وصِلته، في قوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، أي: البراءة واصلةٌ من الله إلى الذين عاهدتم، أي: بريءٌ من المعاهدة أو من المشركين أصحابِها، فحذفَ ذلك اكتفاءً بدلالةِ الغايةِ عليه،

حيثما كان المقصودُ واضحًا، كان الإيجازُ كافيًا

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 8/4859.

وللاحتراز عن تكرار (من)، وحيثما كان المقصودُ واضحًا؛ كان الإيجازُ كافيًا، والإيجازُ حينئذٍ أبلغُ[1].

### دلالةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول:

أطرافُ التَّعاقُدِ مُحدَّدون ومعرفون، لا يعتريهم إبهامٌ ولا احتمال

التَّعبيرُ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ دون أن يقولَ: (مَنْ عاهدتم)؛ لتخصيص المُعاهَدين وتعيينهم؛ لأنَّ طبيعة العقود أن يكون أطرافُها محدَّدين ومعروفين لا يعتريهم إبهامٌ ولا احتمال، ولذا عبَّر بالموصول الخاصِّ، وأمَّا (مَنْ) فموصولٌ احتماليٌّ مشترك يعتريه الإبهام، ولا يتمحَّض لِمعنًى واحدٍ، فلِوثوقيَّةِ العقد لم يعبَّر به[2].

### حكمةُ التَّعبيرِ بـ(إلى):

القصدُ لتحديدِ الغايةِ بحرفِ الانتهاء أوجَبَتْهُ ضرورةُ المَقام

التَّعبيرُ بحرف الانتهاءِ غرضُه النصُّ على غايةِ البراءةِ، أي: مُنْتهاها إلى أولئك، ولو قال: (للّذين عاهدتم) لم يُفِد ذلك؛ لأنَّ اللَّامَ حرفُ اختصاصٍ تتعلَّق به معانٍ شتَّى ليس منها إفادةُ الغاية[3]. والقصدُ لتحديد الغايةِ هنا ليس اعتباطًا، بحيث تنوبُ اللَّام عن (إلى) بلا تأثير، فتحديدُ الغاية هنا يقتضيه مقامُ اعتبار المعاهدة كعقدٍ؛ إذ لا بدَّ من إعلام الطرف المقابل بزوالِ جميع الإلزمات الَّتي يؤدِّيها إليه الطَّرف الآخر بموجب العهد، ولذا كانت البراءةُ مُحدَّدةَ الابتداء والانتهاء، لِتخلو من الاحتمال والتأويل، وتتمحَّض للقطعيَّةِ والوضوح.

ويحتملُ أنَّ حرف الانتهاء (إلى) هنا يفيد التَّحدِّيَ والتَّحذير، فكأنَّ الله ورسوله يقولان للمشركين: إلى أيِّ حدٍّ تظنُّون أنَّكم تستطيعون مخالفةَ حقِّ الله وشرعه؟ إلى أيِّ حدٍّ تظنُّون أنَّكم تستطيعون خداع المسلمين بعهودِكم الزَّائفة؟ إلى أيِّ حدٍّ تظنُّون أنَّكم تستطيعون الفرار من عذاب الله وغضبه؟

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/39.

(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 1/137.

(3) ولا يُقال: إنَّ اللام تأتي بمعنى: (إلى) أحيانًا فتفيد الغاية؛ لأنّ: (إلى) تفيد الغاية حقيقةً، وليس تجوُّزًا بالتضمين.

### دلالةُ إسنادِ فعل المعاهدةِ في ﴿عَٰهَدتُّم﴾:

التَّكاليفُ الشَّرعيَّةُ تُسنَدُ لأهلِها الملتزمين بأدائِها، ويُخاطَبون بها

أسندَ فعلَ المعاهدةِ لضمير خطاب المؤمنين ﴿عَٰهَدتُّم﴾، ولم يقل: (إلى الذين عاهدوكم من المشركين)؛ إعلاءً لجانبِ أهل الإيمان بأنَّهم هم الذين عاهدوا من قبلُ، وهم الذين يتبرَّؤون الآن، وتهوينًا من فعل المشركين في المعاهدات أن يكونَ له قيمةٌ أو وزن إلَّا بحبلٍ من اللَّه وحبلٍ مِن عباده، ولولا ذلك؛ فلا اعتداد لعهدهم، فالاعتدادُ والاعتبارُ حاصلٌ من جِهةِ المؤمنين لا من جهتِهم، وأنَّ إسناد فعل المعاهدة إلى ضمير خطابِهم يفيدُ التَّحقير للمشركين، فكأنَّ اللَّه ورسوله يقولان لهم: أنتم الذين عاهدتم، وأنتم الذين نَقضتم، وأنتم الذين ستخسَرون، فضلًا عن أنَّ البراءةَ لمّا كانت من المؤمنين إليهم؛ أسندَ الفعل إليهم دونهم؛ ليدلَّ على أنَّ التكاليف الشَّرعيَّة إنَّما يُخاطب بها أهلها الملتزمون بأدائها، وأمَّا المشركون؛ فليسوا أهلًا ولا محلًّا لذلك.

### نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿عَٰهَدتُّم﴾:

التَّعبيرُ بالماضي دلَّ على استيفاءِ المؤمنينَ لِفِعلِ المعاهدةِ وتحقُّقِهم مِنْهُ

التَّعبيرُ بالماضي في قوله: ﴿عَٰهَدتُّم﴾ للدّلالة على استيفاءِ المؤمنينَ لِفِعلِ المعاهدةِ وتحقُّقِهم مِنْهُ، إتمامًا ووفاءً، وهذا تعريضٌ بأنَّ النَّقضَ والإخلال حصل من جهة المشركين، وأنَّ البراءة المذكورة كانت بعد تحقُّقِ فعل المعاهدة من المؤمنين لا من المشركين، ولذا عبَّر بصيغة الماضي مع إسنادِ الفِعلَ لضميرهم.

### دلالةُ ﴿مِّنَ﴾:

إزالةُ الإبهامِ قبلَها

معنى ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بيانيَّةٌ؛ لتبيينِ فِئَةِ المعاهَدين في قولِه: ﴿عَٰهَدتُّم﴾؛ لأنَّ هناك عبدةَ الأوثان، وهناك أهل الكتاب، فأخبر أنَّهم المشركون الأصليُّون[1].

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 430، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/366، ورضا، تفسير المنار: 10/134.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### البراءة والتَّخَلُّص:

البراءةُ تكونُ مِمَّا يُتعِبُ ويُؤذي، والخلاصُ لا يَلزمُ أن يكون مِمَّا يَضرُّ

البراءةُ أو التَّبرُّؤ أصلٌ في التَّباعدِ من الشَّيءِ والسَّلامةِ والخَلاصِ منه، والتَّخَلُّص أو الخَلاص أصلٌ في التفَصِّي من الشَّيءِ بالزَّوالِ عنه وعدم الشَّركةِ فيه، فكلا اللفظين مؤذِنٌ بالتباعدِ والإقصاء عن شيءٍ ما، إلا أنَّ البراءةَ أخصُّ من التخلُّص، فالبراءةُ تكونُ مِمَّا يُتعِبُ ويُؤذي، والخلاصُ لا يَلزمُ أن يكون مِمَّا يَضرُّ، بل قد يكونُ مُجرَّدَ تَنْقِية شيءٍ عن شيءٍ، بتخليصِ الشَّيءِ ممَّا يشوبُهُ ممَّا ليس من جِنْسِه، فالتخلُّص أعمُّ، ولذا يُقولون: أبْرأكَ اللّهُ من مَرضِك، ولا يقولون: خلَّصك اللّه منه، لكون البراءةِ فيما يضرُّ، وشواهد القرآن تُعينُ على هذا العموم والخصوص بين اللَّفظين، فاللّهُ ﷻ يقول في البراءة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: 1]، ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: 112]، ﴿بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: 54]، ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ [الأحزاب: 69]، فذلك كُلُّهُ فيما يُتْعِب، ويؤذي، ويَعيبُ، وما هو عِبْءٌ وضَرَر، وأمَّا مادَّةُ الخلاص؛ فيقول اللّه تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]، أي: انفصلوا عنهم للمُناجاةِ وليسَ تبَرِّيًا منهم، وقولُه: ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: 54]، أي: أخْتَصُّه بالقُربِ والمنزلة، وقوله: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام: 139]، فالخلاصُ في هذهِ المواضع مُطلَقُ فصلِ شيءٍ عن شيءٍ، وقوله: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: 66]، فالخلاصُ هنا انفصالٌ عمَّا يَضرُّ؛ لأنَّه كانَ بجوارِ فرْثٍ ودم، وقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: 11]، فالخلاصُ أيضًا عمَّا يَضرُّ؛ لأنَّه تَبَرُّؤٌ عن الشِّرْكِ وتنقيةٌ للباطنِ منه، وعليه: فمادَّةُ الخلاصِ عامَّةٌ، ومادَّةُ البراءةِ خاصَّةٌ[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (برأ، خلص)، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خلص)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (برأ، خلص)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/103.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 16 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-12-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 16 : المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-12-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9828150 بتاريخ 2024/01/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»